

مُسَافِرٌ لَيْلٌ

(كوميديا سوداء)

المنظر :

عربة قطار ، تندفع في طريقها على صوت موسيقاها

الزمان :

بعد نصف الليل .

الشخصيات :

الراوي

المسافر

عامل التذاكر

« على جانب المسرح أي في ركن العربى يقف الراوى ،
مرتدياً حلة عصرية ، بالغة الأناقة .. وردة أو رباط عنق
لامع أو صدار مقلم أو سوار ساعة ذهبى ، أو كل هذه الحلى
والزواقات ... وجهه ممسوح بالسكىنة الفاترة ، صوته معدنى
مبطن باللامبالاة الذكىة .

على أحد مقاعد العربى يجلس المسافر ، نموذج للانسان
بلا أبعاد . الإنسان الذى لا نستطيع أن نصف إلا ملامحه
الخارجية ، فنقول إنه بدين أو نحيف ، طويل أو ربعة ،
أشقر أو أسمر ، وكل هذه الأوصاف سواء .

أما عامل التذاكر الذى سىظهر بعد قليل ، فهو رجل
مستدير الوجه والجسم ، عليه سىماء البراءة التى تثير الشبهة .

الراوي :

بطل روايتنا ومهرجها رجل يدعى ...
يدعى ما يدعى
ماذا يعنى الاسم ؟
والوردة تحت أي اسم تنشر عطرا
والقنفذ تحت أي اسم يدخل في جلده

* * *

صنعه ... أية صنعه
ولنحكم من هيئته وثيابه
وعلى كل ، فالأمر بسيط
صنعه ... أية صنعه

* * *

وهو يسافر في آخر قاطرة ليليه
نحو مكان ما
ويعد عواميد السكه
واحد .. اثنين .. ثلاثة .. خمسة .. مائه

* * *

هوذا يتملأ سامانا
 إذ لا تستهويه اللعبه
 فيجرب أن يلعب في ذاكرته
 يستخرج منها تذارات مطفأة ، ويحاول أن يحلوها
 أسفاً ، لا تلمع تذكاراته
 يدرك عندئذ أن حياته
 كانت لا لون لها

* * *

يُسْقِطُ من عينيه أيتامه
 تتبدد دوامات فوق حديد الأرضيه
 لا تتكسر قطعاً وشظايا
 إذ ليس هنالك شيء صلب
 تراك ... تراك ... تراك

* * *

يتذكر مسبحته
 يستخرجها من جيب السروال الأيمن

تهوي من يده ، يتفقدوها بأصابعه ،
فتروغ لترقد بين الكرسيين
يحجد أن ينقذها ، فتغوص .. تغوص .. تغوص ...
ويظل يفتش حق تلتناثر سبخته حبات
تلساقط فوق حديد الأرضيه
تراك .. تراك .. تراك ..
يخرج من معطفه جلد غزال دُونََ فيه التاريخ بعشرة
أسطر

تستوقفه بضعة أسماء
كانت أحرفها البارزة السوداء
تلمع فوق الجلد المتفضل

الراكب :

الاسكندر

« تك ... تك ... تك »

هانديال

« تك ... تك ... تك »

تيمورلنك

« تك ... تك ... تك »

هتلر ... هتلر ... جونسون ... مونسون

.. تك .. تك .. تك .. تك ..

الاسكندر .. الاسكندر .. الاسكندر

الراوي :

معذرة .. لا ينفصل الانسان عن اسمه

فالمعظماء يعودون إذا استدعيتهم من ذاكرة التاريخ

لتسيطر عظمتهم فوق البسطاء

والبسطاء يعودون إذا استدعيتهم من ذاكرتك

ليكونوا متنزه أقدام المعظماء

ولذلك خير أن ننسى الماضي

حتى لا يحيا في المستقبل

حتى لا يخدعنا التاريخ
وبكرّر نفسه

الراكب :

الاسكندر .. تك .. تك .. تك
الاسكندر .. تك .. تك .. تك

« يرتفع صوته كأنه يستجيد نغماً ، وتلمع في ركن
العربة المواجه للراوي ، دائرة ضوء ، يظهر فيها
عامل التذاكر بشيابه التقليدية الصفراء »

عامل التذاكر :

من يصرخ باسمي ؟ من يدعوني ؟
من أزعج نومي في زاوية العربة ؟
أنت ... ؟

الراكب :

معذرة .. من أنت ؟

عامل التذاكر :

أنا الاسكندر

في صِغَرِي روضت المهر الجامح
في ميمعة عمري روضت أرسطاليس
حين بلغت شبابي روضت العالم

الراوي :

الراكب تسري الدهشة في فكيه وعينه
وجه مرسوم في إعلان
بل هو خائف —
للإنصاف ، قليلا
وهو يقول لنفسه

الراكب :

هذا البرميل الأسمر في الكيس الكاكي ... ؟
الاسكندر .. لا .. لا

الراوي :

الراكب يتأرجح كالميزان المهتز
حق ترجع كفة 'شكه
كفة 'خوفه'

الراكب :

مرحى يا اسكندر ، هل أكثر من الشرب ؟

عامل التذاكر :

لا تعرف 'قدري يا جاهل
قسماً ، سأروضك كما روضت المهر الجامح .

الراوي :

تمت يد الاسكندر في الجيب الأيمن

يستخرج سوطاً ملفوفاً
 تمتد يد الاسكندر في الجيب الأيسر
 يستخرج خنجر
 تمتد يد الاسكندر في ثِيَابِهِ سرواله
 يستخرج غداره
 تمتد يد الاسكندر في حلقه
 يستخرج أنبوبة سم
 تمتد يد الاسكندر في جيب خلفي
 يخرج حبلاً
 يتعصمه خجلانا ، ويقول

عامل التذاكر :

عفواً ، هذا مات به أغلى أصعابي
 أعطيت صديقي الحبلَ ليلعب به
 فأساء استعماله
 هل تدري ؟

كلماتي في منعه صارت من مذخور التاريخ الأدبي
 لم أكتبها ، لكنني شاهدت وزيري يكتبها
 وصرفت له خبزاً ونبيذاً ، حتى أنهاها
 حتى علمني أن ألقيا إلقاء مأساوياً ،
 يخضع لأصول النحو
 فأنا أخطيء دوماً في الفاعل والمفعول
 كان وزيري طمّاعاً ؛ إذ طالبني بولايه
 ثمناً لدخول التاريخ ككاتب
 فوهبت وزيري الأرض بأكملها كي يرقد فيها
 « يخفىء عامل التذاكر الحبل في قبعته »

الراوي :

المشهد يتلخص فيما يأتي :
 الراكب محمو ، فالرعب
 يتغير وجهه
 مثل إشارة ضوء

والاسكندر قد عبأ جيشه
السوط وأنبوب السم جناح أيمن
والفدارة والخنجر
فيلقه الأيسر
لا نجروا طبعاً أن نذكر ما في قبعتـه
حتى لا يفضـب

عامل التذاكر :

لا يجرؤ أحد أن يعصي أمري
هل تجرؤ ؟

الراكب :

لا ، يا مولاي
قل لي .. بهم تأمر ؟
أسرع من رجـع حديثك سأكون

الراوي :

قال الراكب في نفسه
ما يدبرني ، فلعل الرجل هو الاسكندر
ولعل الموتى العظماء
ما زالوا أحياء
وعلى كل ، فالأيام غريبه
والاوفق أن نلتزم الحيطه
ولعلي إن لنت له أن يتركني في حالي
قال الراكب في نفسه
فلأنذل له

الراكب :

ماذا تبغي مني يا مولاي ؟
عفواً ، مثلك لا يبغي من مثلي شيئاً
أعني .. بم يشملي عطفك ؟
بم تكرمني

هل تجعلني سرجاً لجوادك ؟

عامل التذاكر :

ضاعت نفسي بركوب الخيل الآن

الراكب :

هل تجعلني فرشة نعلك ؟

عامل التذاكر :

يندر أن أمشي ، يؤلني اللباجو
أتمدد أحياناً في الشمس ، وأخذ حمام بخار كل صباح

الراكب :

فلتجعلني فحّاماً في حمامك
اعهد لي بمناشفك الوردية
اجعلني حامل خفيك الذهبيين
لكن لا تقتلني ... أرجوك

الراوي :

العامل يلقي في ضيق أسلحته
ويمد يديه الفارغتين
في كسل نحو الراكب

الراكب :

تقتلني بيديك .. ؟ لا .. لا ..
أرجوك .. جربني في أي مهمه
اعهد لي بأخس الأشياء
أو أعظمها
اصنع بي ما شئت
لكن لا تقتلني

عامل التذاكر :

ماذا .. ؟ -

لم تصرخ يا سيد ؟

هل تحلم ؟
لم تجمد كالفار المذعور ؟
لأظن بأنك لم تركب قاطرة من قبل
أوه ، لم يشحب وجهك حين أمد إليك يدي ؟
أو لا تعرف ما أطلب ؟
أو لا تعرفني ؟

الراكب :
أنت الاسكندر ...

عامل التذاكر :
ليس اسمي الاسكندر
اسمي زهوان

الراكب :
بم تأمر يا مولاي الـ ... زهوان ؟

عامل التذاكر :

مذعور .. وغبي !
أولا تدرك من ثوبي ما أعلب
أطلب تذكرتك
هذا عملي .. عمل مرهق
يَنزِعني من فرشي في بطن الليل
يحرمني من نومي .. أشهى خبز في مائدة الله
أحياناً لا تحوي القاطرة سوى حفنة ركاب
ينثرون كأجولة ملقاة في مخزن قطن مهجور
بل أحياناً لا تحوي إلا رجلاً أو رجلين
تبدو مظلمة باردة خافتة الأنفاس ...
كبطن الحوت الميت
أعرف ذلك حين تقعقع فوق رصيف البلده
أنوار مطفأة ، وزجاج لا تلمع خلف غشاوته رأس
لكني أنتفقد كل العربات
هذا واجب !

أتحس جلد مقاعدها وأحرق في الظلمه
أحياناً أقلب ظهر المقعد
بل إني أحياناً أقمي كي أنظر ما تحت المقعد
بل إني أحياناً أستخرج مطواني ، واشق المقعد
ماذا ؟ لا أغفر أن يركب أحد دون تذاكر
ماذا ؟ هل هدأت نفسك ؟
تذكرتك

« الراكب يكاد أن ينسى موضع تذكرته ، ويقلب
جيوبه جيئاً جيئاً ، حتى يجدها في كفه »

الراكب :

هذي تذكرتي

عامل التذاكر :

شكراً ... تذكرة خضراء ...

ومربعة تقريباً ...

وطرية ...

هذا يعني أنك رجل طيب

هل تدري أنني صليت المغرب ثم غفوت ...

بكامل ثوبي

استعداداً للنوم

حتى دق الجرس برأسي ، فتركت سريري

لم آكل لقمة

خضراء .. شكراً لك

إنك تخرجني إذ تؤثرني ، وتفضلني عن نفسك

كم يأسرني الخلق الطيب .. شكراً لك ..

الراوي :

فلننتبه الآن

فسيحدث شيء من أغرب ما يخطر في بال

العامل يفتح فيه ، يمسح وجهه التذكيرة بكفه

يتذوقها بلسانه ..
يستطعمها ، يقضم منها ، يعضها
يبلعها ، يتجشأ
تتحسس كفاء معدته ، وتذلك كفاء أحشاءه
يشكر ربه
ويقبل باطن يده في عرفان ومسرره
أما الراكب
فمن الدهشة لا يسمفه الفكر
بل لا يعرف كيف يفكر
بل لا يعرف كيف يكون الفكر

عامل التذاكر :

تذكرتك يا سيد !

الراكب :

أعطيتك إياها يا سيد

عامل التذاكر :

أين .. ؟

الراكب :

في بطنك يا سيد

عامل التذاكر :

لا ترتفع الكلفة إلا بين صديقين

فالزم حدك

أقسم أنك رجل ساخر

لكنك لن تجني من سخريتك إلا ما لا ترضاء

حقاً ، قد تأسرني خفة ظلك

لكن بحدود

فالواجب سيظل هو الواجب

الراكب :

أقسم أنني أعطيتك إياها يا سيد

عامل التذاكر :

وأنا ألقيت بها من هذا الشباك .. ؟

الراكب :

لا ، بل أنت أكل ...

عامل التذاكر :

إيه .. أنا .. ماذا ؟

علمني سني أن يتأخر غضبي ،

أن يتقدم عقلي 'سخطي

لكني لا أسمع إطلاقاً أن يتقدم عقلي خطوات
القانون

اسمع يا ...

الراكب :

عبده

عامل التذاكر :

اسمع يا عبده
فلنتحدث في هذا الموضوع الشائك كصديقين
كرفيقي رحلة
بدلاً من أن نتحدث خصمين كما يفرض هذا الوضع
المؤسف

(راكب وعامل تذاكر)

إيه .. أوسع لي جنبك
وسأخلع سترتي الرسمية حتى لا تخشاني
فلدى بعض الناس حساسية ضد اللون الأصفر
خذ نصحي كصديق
لا تتحدث إلا فيما تبغي أن تتحدث فيه
زن كلماتك بالميزان
فكر مراتٍ عشرًا في كل سؤال
عشرين لكل إجابة

إحذر أن يضطرب كلامك حتى لا يلتف حبالاً في
عنقك

لكن .. إيه .. ننتظر قليلاً حتى أخلع هذا الثوب
الرسمي ..

الراوي :

العامل يخلع سترته الرسمي
تحت السترة ستره

العامل يخلع سترته الثانيه الرسمي
تحت السترة ستره

ما زال اللون الأصفر في أعيننا
ويذكرني هذا أنني أبغى أن ألقى تعليقاً حول اللون
الأصفر ،

تنقسم الآراء بشأن اللون الأصفر
فيراه بعضهم لون الذهب الواج
ويراه بعضهم لون الداء .. ولون الوجه المعتل

لون الموت ..

عامل التذاكر : وهو يجلس بجانب الراكب :

هذا أفضل ..

الآن ، وقد أُلقيت السترة نتحدث كصديقين
ماذا قلت .. اسمك

الراكب :

اسمي عبده

عامل التذاكر :

وأنا اسمي .. سلطان

الراكب .

قلت أن اسمك زهوان

عامل التذاكر :

أنا .. زهوان .. لا .. لا ..

هذا اسم زميلي .. الأرقى مني
رتبته أربع سترات
أحلم أحياناً أن أقتله وأحل محله
زوجته ناصعة الوجه ، ورابية الفخذين
وامرأتي عجفاء ممصومة
يسكن في الجزء المُشعِسِ في غرب الضاحية الوردية
سكني لا بأس به ..
لكني أحياناً أتملّل من صيحات المارة وعواء
السيارات

ماذا تعمل ؟..

الراكب :

في حرفه ..

عامل التذاكر :

حرفه

لم يُوسِّلني أبواي لأتعلَّم حرفه
لست أجيد سوى تفتيش العربات
وعلى كلِّ ، لم أخسر شيئاً
أجر لا بأس به ، يتدرج حتى سترات عشرين
قل لي ثانية ، ما اسمك

الراكب :

عبده

عامل التذاكر :

ليس اسمك عبده .. إنك تكذب

الراكب :

بل إني عبده ..
أقسم لك ..

وأبي عبدالله ، وابنني الأكبر يدعى عابد ،
وابنني الأصغر عباد ، واسم الأسرة عبدون

عامل التذاكر :

هل معك بطاقة؟

الراكب :

أحفظها دوماً في جيبى الأيمن
أقرب شيء ليدي إذ 'تطلب' مني مرات عشرا
في اليوم

يوماً طلبوها مني ستاً وثمانين
يوماً آخر سبعين

عامل التذاكر :

أعلى رقم تسعون .. وهذا شرع القانون

وعلينا أن نتكشف كالنور

نتضح كمرآة بجلاوه

ونعد لكل سؤال رداً لا يملك أن يفضيَ لسؤال
آخر

ما دمت سليماً لن تفزعك الأيدي إذ تمتد إلى السله

كي تلقى بالتمر العاطب

إنك - فيما يبدو - رجل طيب

فاحفظ هذي الورقة دوماً في متناول يدك اليمنى

فهي بطاقتك الشخصية

أغلى ما تملك

أرينها لحظه ..

شكراً .. خضراء ، ومربعة تقريبا

جافه .. !

لكن .. لا بأس

هل تدري أني صليت المغرب ، ثم غفوت بكامل

نوبي ..

استعداداً للنوم
حتى دق الجرس برأسي ، فتركت سريري
لم آكل لقمه
خضراء .. شكراً لك .. لا بأس بها

« العامل يمد الورقة إلى فمه ، فينتفضض الراكب
منعوراً »

الراكب :

أرجوك .. لا تأكلها .. أرجوك

عامل التذاكر :

آكلها ...

كنت أظنك .. ماذا .. رجلاً يتمتع ببقية عقل
آكلها .. يا لله .. آكلها

هل يأكل أحد ورقه ؟
هذا ما لم نسمع به
نسمع عن أكل لحوم الخيل ، جراد الصحراء ،
قدم الضفدع ، أعشاب البحر
بل نسمع أحياناً - يا للقسوة - عن أكل لحوم
الأحياء أو الموتى
لكننا لم نسمع أبداً عن أكل الأوراق ..

الراوي :

هذا ليس صحيحاً
معدرة لمقاطعته
لكنني أبغي أن ألقى تعليقاً آخر
فألد طعام للإنسان هو الأوراق ...
وأشهى ما في الأوراق هو التاريخ
نأكله كل زمان وزمان ، ثم نعيد كتابته في أوراق
أخرى

كي نأكلها فيما بعد

عامل التذاكر :

إني مندهش من أمرك
كنت أظنك تفهم عني
لكني لن أقسو في لومك
فلقد مات الود وهان ولما 'تعمد' عقدته بعد ...
مضطراً يا سيد
سأعاملك معاملة رسمية
لكني كنظامي مسؤول
وثلاثي السترة
أتذكر كلمة عشري السترة
لما سلطنا أوراق التعيين

الراوي :

إني أحفظ هذي الكلمات

فيما أحفظه من درر القول

مثل :

« جوع كلبك يتبعك »

سيدنا النعمان بن المنذر

ومثل :

« عندما أسمع كلمة الثقافة أتحس مسدسي .. »

سيدنا هرمان بن جورنج

ومثل :

« علمهم الديموقراطية ، حتى ولو اضطرت إلى

قتلهم جميعا »

سيدنا ليندون جونسون

ومثل :

« إني أرى رؤوساً قد أينعت وحان قطافها »

سيدنا الحجاج الثقفي

أما كلمة عشري السترة ، فهي :

« حقق في رحمه
ثم اضرب في عنف »

عامل التذاكر :

« رافعا يده بالتحية »

ها أنذا يا عشري السرة أترقرق رحمه
وأقول لهذا الرجل المتقنع ببلايته المكشوفه
إني حين رفعت بطاقتك إلى وجهي
لم أكُ أنوي أن آكلها
بل كنت أصدق فيها
ما زلت أصدق فيها
ما زلت أصدق فيها
يا للشيطان .. ما هذا ؟

الراوي :

سرّ في الموضوع

سرٌّ في الموضوع
فلقد ألقى العامل بالورقة للأرض
مذعوراً ، أو كالمذعور

عامل التذاكر :

هذي قطعة ورق بيضاء
فرد واحد
في حوزته هذي الأوراق البيضاء
فرد موجود منذ قديم الأزمان
أو لم يوجد بعد
أو لم يوجد قط
لكننا نسمع عنه في كل مكان
بعض الناس رأوه
أو خالوا أنهم في بعض الأحيان رأوه
بعضهم قد خاطبه مثل خطابي لك

أو يزعم بعضهمو أن قد خاطبه يوماً ما ..

«الراكب يمد يده للأرض، ويلتقط الورقة، ويتحدث
وهو يشير إليها ..»

لكن أوراقك ليست بيضاء
هذا اسمي !
هذا رسمي !

عامل التذاكر :

لا .. أوراقك بيضاء .. أنظر
أنظر ، بيضاء تماماً
لا تعرف أوراقك
آه ، أدركت الآن
هي ليست أوراقك
أنت سرقت الأوراق إذن

لحظه ..

الأمر خطير

الراوي :

العامل يستخرج نجمة مأمور أمريكي من جيبه
ويملقها في صدره
يتحول عن مقعده حتى يجلس في وجه الراكب
يسحب رفاً من تحت المقعد
يصنع منه مائدة ، ينشر أوراقاً
يستخرج بضعة أقلام من جيب السروال الخلفي
يشعل سيجاراً
يضرر شاربه بلعاب ثناياه
أو بدهان يستخرجه من جيب السروال الخلفي
يتنحنج مزهواً ، ويقول :

عامل التذاكر :

يا عبده
قف ، واسمع وصف التهمة
أنت قتلت الله ..
وسرقت بطاقته الشخصية
وأنا 'علوان بن الزهوان بن السلطان
والى القانون
في هذا الجزء من العالم
باسمك يا عشري السره
أفتتح الجلسه

الراكب :

لا .. لم أفعل
مظلوم .. مظلوم

إني أطلب عشري السترة ذاته
أطمع في عدله

عامل التذاكر :

لحظه

لا بد لكي يجري العدل
من أن نحفظ للعدل مظاهره الرسمية

الراوي :

هذا حق

فالعدل بلا مظهر

كالمرأة دون طلاء

كالسرح - مسرحنا هذا - دون ستائر

ولهذا ، فالعامل يقفز كي يجلس في أعلى المربه

فوق البرف الشبكي*
ويدلي ساقيه ، ويؤرجح قدميه على رأس الراكب
لا تتدهشوا ، هذا أيضاً حق
فتديماً قالوا :
إن القانون ..
فوق رؤوس الأفراد

الراكب :

مظلوم والله ، مظلوم .. مظلوم !..
لم أقتل أو أسرق
أدركني يا عشري الستره

عامل التذاكر :

هل تطلب عشري الستره ؟

الراكب :

مظلوم .. مظلوم

عامل التذاكر :

أنا عشري السترة

أنظر .. !

الراوي :

العامل يفتح ستورته الرسميه

مرة ، مرة ، مرة ، مرات سبعة

تلمع أزوار السترة من ستورته الأولى حتى جلده

الراكب :

عدلك يا عشري السترة

عامل التذاكر :

هل تطمع في عدلي ؟
ماذا تعرف عن عدلي ... ؟

الراكب :

إنك أعدل من في الأرض

عامل التذاكر :

لا بأس بهذا ...
حدثني عن رفيقي بالضعفاء

الراكب :

فإذا رحمت ، فأنت أم أو أب
مذان في الدنيا هما الرحماء

عامل التذاكر :

هذا أحسن

حدثني عن علمي

الراكب :

علم بأسرار الديانات واللغى
له خطرات تفضح الناس والكتبا

عامل التذاكر :

طيب .. طيب

حدثني عن جودي

الراكب :

ولو لم يكن في كفه غير روحه
لجاد بها ، فليتنق الله سائله

عامل التذاكر :

لا ، هذا قول طائش
فأنا لا أقدر أن أعطي أحداً روحي
لا ضناً مني أو بخلاً ، بل إشفاقاً أن يختل نظام
الكون

هي مسؤوليه ... !
هل هذا شعرك ؟

الراكب :

لا ، وجلالة مجدك
هذا شعر سمج مأفون يعلق في ذاكرتي من أيام
صباي

عامل التذاكر :

هل تعرف قائل هذا الشعر ؟

الراكب :

المتني فيما أذكر ..

عامل التذاكر :

لا ، لا ، لا يخطيء حدسي أبدا

هذا يبدو من شعر العائم

شعبان العائم

الراوي :

الراكب تسفّه الجبله

يتلمس قلماً من أقلام العامل

يتصنع هيئة مبهور بالمعلومات

ويقول بصوت متزلف

الراكب :

من يا مولاي ؟

عامل التذاكر :

شعبان العائم
صحفي في حاشيتي
لا يصلح إلا في هذا الهذر الأجوف
لكني أنسلي به
هل تعلم .. لست سعيدا
يتخيل بعض الحمقى أنني رجل محظوظ
ويقولون لأنفسهم ، ..
حين يعودون إلى أكوأخهم وزرائهم في الليل
ماذا يصنع عشري الستره ؟
يتقاضى أعلى أجر
يسكن في قصر
يتصرف في أقدار الناس
لا يدرون بأني أحمل أكبر عبء
أفزع في الليل إذا حدثت واقعة ما

أخرج من قصري كي أتفقد أحوال الخلق
أحفظ في ذاكرتي أسماء القتلة والسفاحين
وذوي الأفكار السيئة الأخطر من أخطر...
أنواع القتلة والسفاحين

استقبل زوار البلد الغرباء
أنحمل نظراتهم الحاقدة البكماء
أشرب قدح القهوة حتى مع أعدائي
مع زواري من كل مكان
أتجمع مائتي فنجان في اليوم
فسدت أمعائي ، آكل أكلا مسلوفا
هل تعلم أنني أحيانا
لا أغفو إلا ساعات في الأسبوع
لا تتصور أنني أخشى أن أقتل في نومي
فأنا لا أخشى الموت
لكن لا بد من الحيطه
ولهذا ، فأنا أقتل أعدائي أو أشريهم بالترتيب

لا أخشى من أعدائي ، بل من أصحابي
ياكلهم حَسَدٌ ضارٍ
قد يبتسمون بوجهي ، لكن قلوبهم سوداء
إنني أحيا في وحده
أحيا في وحده
أحيا في وحده

الراكب :

لا تحزن يا مولاي ..

عامل التذاكر :

أنا لا أبكي نفسي ، لكني أبكي ضيعة نفس الحساد
أبكي من أجل قلوبهم السوداء
أتمنى لو رأوا النور وعرفوه

لو عرفوا معنى أن يصفو القلب وينتظروا بالحب

الراكب :

لا تحزن يا مولاي ..
دمعك أغلى من أن تسفحه إشفافاً منك ،
على أهل السوء ..

عامل التذاكر :

هذا حق
يبدو أنك رجل طيب
لحظه ..

الراوي :

العامل يهبط من فوق الرف
يجلس جنب الراكب

الراكب يتفاهل بالخير
يشكر ذلته ' إذ تو شك أن تُنقذَ روحه.

عامل التذاكر :

فلنتحدث كصديقين
فلعلك تغفر لي اني أتمن في أمرك
إذ أنبئك بأن قد شاعت شائعة لا أدري ما فيها
من صدق ..

الراكب :

فلنتحقق منها يا مولاي
بشاقب عقلك وسديد ذكائك

عامل التذاكر :

هذا ما أفعل

أنظر : قدر وضعي
أنا مسؤول عن هذا الوادي كله
والشائنة تقول :
رجل من أهل الوادي قد قتل الله
وسرق بطاقته الشخصيه

الراكب :

هذا أظلم ما سمعته إذن
شائنة كاذبة يا مولاي ، بلا شك

عامل التذاكر :

لا ، هي صادقة ، وبكل أسف
لكن بطريق غير مباشر

الراكب :

أعذر قلة فهمي يا مولاي

ما معنى هذا ؟..

عامل التذاكر :

يعجبني تقديرك للموقف
وسأمرح لك

الراكب :

شكراً يا مولاي

عامل التذاكر :

لا داعي للشكر

هل تدري ما معنى فقد بطاقتك الشخصية

معناها أنك لست بموجود

فالسارق قد قتلك

إذ أفقدك تشخيصك المتعين

الراكب :

سامح جهلي يا مولاي
ما معنى هذي الكلمة

عامل التذاكر :

أي أفقدك وجودك
أفهمت ؟.

ولهذا حين أقول :

أنت قتلت الله

لا أعني طبعاً - أستغفره - إنك قد ..

لا ، لكنني أعني .. أنت سرقت بطاقته الشخصية

وهذا يتساوى الأمران

الراكب :

لكنني لم أفعل شيئاً من هذا قط

عامل التذاكر :

هذا أمر آخر

نتداول فيه فيما بعد

لكن الموضوع ..

إن الله تخلى عن هذا الجزء من الكون

لا يُعطينا شيئاً قط

لا ينظر في هذي الناحية كما كان

قلنا :

ماذا حدث لنا ...؟

قالوا :

أحدهم قد قتل الله هنا

ولهذا فهو يخاصمنا

أعني - طبعاً - أحدهم قد سرق بطاقته الشخصيه

واتتحل وجوده.

قلنا :

نبحث لكن في السر

وبحثنا
راجعنا كل ملف
سجلنا كل مكالمة تليفونية
صورنا كل خطاب
أمسكنا بالآلاف
عذبنا عشرين لحد الموت
وثلاثين لحد العاهه
وثمانين إلى حد الإغماء
لكن لا جدوى

الراكب :
وهل اعترف أحد

عامل التذاكر :
اعترف قليلون

مائة فيها أذكر
لكن لا جدوى

الراكب :

كيف ..؟

عامل التذاكر :

ما زال الله يخاصمنا
والأمر خطير
وأنا نفسي - عشري الستره
أتنكر في زي العمال
أو في أسمال الفلاحين
أنزل في الوديان
أهبط في أعماق الحارات
أصعد للأدوار العليا بالدرجات الخلفيه

أتسمع خلف الجدران
أكسو وجهي جيرا ، أو أبلع نارا ..
وأقدم العابي في مقهى الحشاشين
قد أتسقط كلمه

أو أتبع خيطاً يفضي للسر
قد ينفتح أمامي باب أو سرداب
أفضي منه للأمر المجهول
أنظر ،

ها نحن الآن
رجل سوقتي عادي من أهل الوادي
وأنا عشري السترة ذاته
أجلس جنبك
كتفانا ملصقتان
نتحدث مثل الأصحاب
فلعلك تفضي لي بالسر
هل أدركت الآن كم الامر خطير

يستدعي إنكار الذات

الراكب :

جدا .. يا مولاي

عامل التذاكر :

هل أنت على استعداد أن تصنع شيئاً من أجلي
من أجل الوادي

الراكب :

بل من أجلك يا مولاي
دعني أبحث عنه معك

عامل التذاكر :

تبحث عنه معي ؟..

الراكب :

إسمع لي يا مولاي

عامل التذاكر :

ها هوذا

الراكب :

من ... ؟

عامل التذاكر :

أنت ... !

افهمني أرجوك

كان الأمر حبيساً لا يعرفه إلا بضعة أشخاص من
خلصائي

حق انتشار النبأ الفادح

وصل إلى أعدائي
وتسرب منهم للعامة
ولهذا لا يتسع لنا الوقت الآن
لنُميزَ بين الصادق والكاذب
لا بد من الحسم
لو لم أفعل لاختل نظام الوادي
إني أعرف ما أفعل
سأقول لهم في صحف الغد إني نفسي
قد أمسكت الجاني ،
وقتلته
وسأعرض جثتك وصورتك على الناس
إنك رجل طيب
مخلوق من أنبل طينه
أهل للتضحية الكبرى
أنت على استعداد أن تصنع شيئاً من أجلي
هل تذكر ؟..

دعنا من هذا الموضوع الآن
نتداول فيه فيما بعد
أسألك سؤالاً لتجيب جواباً يتفق وذوقك
هب أن أمامك أربع آلات للموت
السوط ...

الراكب :

لا .. لا ...

عامل التذاكر :

لا يتفق وذوقك
أنت على حق
هذا أسلوب همجي متخلف
تيمورلنك الهمجي !
ما رأيك في السم

الراكب :

لا ... لا ..

عامل التذاكر :

لا يتفق وذوقك .. أيضاً

أنت على حق

أسلوب ممزوج بالخسنة والغدر

أسلوب الديتشي

ما رأيك في الغداره

لا .. لا .. أنا نفسي لا أهواها

قتل عن بعد ، دون ملامسة محبومه

أسلوب عصري مبتذل ،

لعب صفار 'جبّناء

بحتاج 'الموت' إلى أسلوب تقليدي ،

يحفظ رونقه وجلاله

آه .. الخنجر ..

الاسكندر ...

معذرة .. يا عبده

يا أنبلَ مخلوقٍ صادفته

فليمسسك الخنجر ...

فليدخلك الخنجر

يطعنه بالخنجر

الراوي :

لا أملك أن أتكلم

وأنا أنصحكم أن تلتزموا مثلي

بالصمت المحم

الراكب :

آه ...

لكننا لم نتداول بعد

عامل التذاكر :

نتداول فيما بعد ..

الراكب :

أقسم أني .. لم أقتل .. لم أسرق
أقسم ... أقسم ...

عامل التذاكر :

أعلم هذا يا أنبل مخلوق
هل تدري من قتل الله ،
وسرق بطاقته الشخصية
لا ، لن أكشف أمره
لكن .. لا بأس
افتح عينيك لآخر مره
أنظر آخر نظره

« يفتح العامل السترة الملاصقة للجلد ،
ومن بين جلده وثوبه يخرج البطاقة
البيضاء ، ويلوح بها أمام عيني الراكب
المحتضر الذي يسقط ميتاً بعد نظرته
الأخيرة »

عامل التذاكر :

آه .. كيف سأحمل جثة هذا الرجل المثلثه

متجهاً إلى الراوي :

ساعدني يا هذا

احمله معي

الراوي :

متجهاً إلى الجمهور

ماذا أفعل

ماذا أفعل
في يده خنجر
وأنا مثلكم أعزل
لا أملك إلا تعليقاتي
ماذا أفعل !
ماذا أفعل ؟

« النهاية »

، تخيل ،

لو كان لي أن أخرج هذه المسرحية - وهذا فرضاً
سأعود إليه فيما بعد - لقدمتها في إطار من « الفارس » إذ
أنني أريد للمتفرج أن يخشى عامل التذاكر ضاحكاً ، وأن
يشفق على الراكب ضاحكاً ، وأن يحب الراوي ويزدرجه
ضاحكاً كذلك .

فلست أريد في هذه المسرحية أن أقدم أشخاصاً بقاماتهم
الصحيحة السليمة ، ولكنني أريد أن أقدم نماذج ، وهي
ليست نماذج من الناس ، بقدر ما هي نماذج من البشرية .
وانتخاذ النموذج أساساً للعمل المسرحي يعني درجة من
التجريد ، تماماً مثل الفكاهة أو النكتة ، حين تجعل محورها

نموذجاً يواجه نموذجاً آخر ، فتكشف بهذا التجريد لب
التناقض .

وقد خطرت فكرة هذا العمل ببالي ، ووقفت بين أن
أجعلها قصيدة ، أو حوارية ، أو عملاً مسرحياً ، وحين
آثرت الشكل الأخير تبدت لي بضعة مشكلات ، ومن
الحق أني لم أمعن التفكير فيها قبل الكتابة ، فما هذا من
دأبي ، ولكن الكتابة قد جلت حلولها ، التي ربما
كانت مستكنة في مكان ما من عقلي ، فأنكشفت على
الورق .

وحين قرأ بعض الأصدقاء هذه المسرحية كاشفوني
بآرائهم التي وجدت في معظمها صدق المشكلات التي عهدتها
قبل الكتابة ، وتبلورت هذه المكاشفات في هيئة أسئلة ،
كان أولها :

— لماذا الشعر ؟

الشعر لأن المسرحية ظلت تكتب شعراً عمرها كله ،
فيما عدا القرن الأخير ، ولأنها تحاول أن تعود في سنواتها
الآخيرة إلى النبع الذي انحدرت منه ، وقد أسفها على
العودة ذلك التغير في مفهوم كلمة الشعر ، إذ لم تعد كلمة
مرادفة للنظم ، بل أصبح بين الشعر والنظم مبانة أعمق من
المبانة بين الشعر والنثر ، فالخلاف بين الشعر والنثر خلاف
شكلي ، أما الخلاف بين الشعر والنظم فهو خلاف في الرؤيا
والافتراب والتحقيق .

ولكن قضية الشعر والمسرحية ليست قضية جاهزة ،
بل هي قضية خصبة مشتبكة الأفرع ، أنبتت وستنبت
ألواناً من التفرعات . فمن السهل أن نتحدث عن شعرية
المسرح أو شاعريته عند « إليوت » و « بيتس »

و « كريستوفر فراي » ، و « أودن » ، و « ماترلوك » ،
و « بيكيت » ، و « شعاده » ، وغيرهم . ولكننا لو تتبعنا
مفهوم العلاقة بين المسرحية والشعر لوجدنا فيما بينهم
اختلافاً شامعاً لا يقل سعة عن الاختلاف بين كتاب
المسرح النثري . والاختلاف هنا هو في دور الشعر . أهو
حالة أم أسلوب أم جلبة . بل إن في ظلال
المؤلف الواحد ألواناً من الاختلاف ، كما هو الشأن في
« إليوت » . فإن « جريمة قتل في الكاندرائية » مسرحية
مكثفة ، غنية بالإيقاعات ، جليلة بشخصياتها المنمجة ،
بل هي عودة بالمسرح إلى حالته الأولى كطقوس كلامية
مصاحبة للطقوس الحركية . بينما يحاول إليوت في
مسرحياته التالية ، وبخاصة « حفلة الكوكبيل » ، وما
بعدها أن يجعل من الشاعرية إطاراً عاماً للعمل الفني ،
مع قدر قليل من الإيقاعات يهب اللغة نفحة من السمور ،
تخفي أحياناً حتى ليخفي على المتفرج أنه يسمع
شعراً .

وقد يكون لذلك علاقة بالأشخاص الذين يختارهم المؤلف
ليجري بينهم أحداث مسرحيته ، ولا أدري أي وهم فني
رسخ في نفوسنا ، أن السادة في الحياة سادة في اللغة ، وأن
عامة الحياة عسامة في اللغة ، ولكن هكذا جرينا ودأبنا
بتأثير النزعة الطبقيّة التي بلغ من عمقها في وجدان الإنسانية
أن اشتقت منها كلمة « كلاسيكية » دلالة على الأجود والأنقى
والأكمل . والواقع أن اللغة قادرة على أن تسمو وتنقى بتأثير
المواقف ، لا بتأثير المكانة الطبقيّة للأشخاص .

ولنعد إلى اختلاف شعراء المسرح الواسع ، ولنجاوز
إليوت لنجد شاعرية رمزية تعتمد إلى الإيماء والإيحاء أكثر مما
تعتمد إلى الكشف عند الفرنسيين وكتاب الفرنسية ، بينما
نجد أن كريستوفر فراي يعتمد إلى الشعر كوسيلة لاستيعاب
الجناس والطباق والمقابلة ؛ بحيث يسذكرنا أسلوبه الشعري
بأسلوب أوسكار وايلد في النثر ، وإنه لأسلوب جميل .

ليس هناك إذن مَشرعٌ واحد للشعر المسرحي ، حتى عند أولئك الذين رسخت التقاليد الشعرية والمسرحية في آدابهم . أما نحن العرب ، فأغلب ظني أننا ما زلنا نلمس الطرق . وقد كانت مسرحيتي هذه حرة بأن تكتب نثرأ . ولكنني كنت أظن أنها عرضة لأن تفقد الكثير .

فالتفعيلة التي اخترتها أساساً موسيقياً لهذه المسرحية تفعيلة بسيطة ، ولكنها شديدة الابقاع ومناسبة في وقت واحد . إنها التفعيلة التي آثرها المدائح الشعبي في قوله « الحمد لرب مقتدر » وهي تعتمد على توالي الحركة والسكون ، مع لون من التنويع يعرفه من يعرفون الاستماع إلى الموسيقى وتبين الهيكل العظمي للحن أو جملته الموسيقية ، والخروج المشروع عنها .

ولكن هذا هو أهون ما في الأمر ...

إن التفعيلة هي الوعاء ، فلنسأل عن محتواه ، وأظنني

أجاوز الحقيقة كثيراً لو زعمت أن مسرحيتي غنية بالخيال
الشعرية القديم منها والحديث ، وأقصد بالخيال هنا معنى
شريفاً ، فالخيال الشعرية هي التشبيهات والاستعارات
والكنائيات كما عرفها العرب ، وهي أيضاً ألوان أخرى من
البلاغات الحديثة ، مثل بلاغة استحضات الخيال والاستنارة
بالإيحاء ، وبلاغة التكشيف حتى لتختصر التجربة الانسانية في
سطر أو سطرين يتميزان بالصقل والتجويد ، وبلاغة الترسل
اللدائقي حين يستثير موقف ما ، الشخصية المسرحية فتتطابق
تنفض ذاتها في مونولوج مجوّد معمق غني بالإيحاءات ، والكني
كنت حريصاً على أن أبتعد عن هذا كله إلا ما اقتضته
الضرورة ، فقد اهتمت إلى أمرين حرصت عليهما :

أولهما : أنني أريد أن أتصور هؤلاء الناس لو نطقوا
شعراً .. في موقف كموقف مسرحيتي ، فإذا
يقولون ؟

وثانيهما : أنني أريد عندئذ أن أسبغ حالة شعرية على
مسرحتي لا أن أكتب شعراً يستطيع أن يقف
على الحشبة .

وقد قلت في فاتحة حديثي أنني لو أخرجت مسرحيتي
لجعلتها كوميديا في الأداء قد تتحول إلى فارس أو « مسخرة »
كما يترجمها المجمعون . « ولو أخرجت » هذه تحتاج وقفة ،
فأنا أو من أتى - نحن الشعراء الذين نكتب للمسرح - قد
أهملنا تقليداً جليلاً ، وهو أن نكون كتاباً ومسرحيين في
ذات الوقت ، كما كان أسلافنا منذ أسخيلوس حتى شكسبير ،
وقد نتج عن تراخيها في أداء واجبنا أن دخل إلى المسرح ،
ووقف بيننا وبين النص عديد من الوسطاء ، أهمهم المخرج .

وهذه المسرحية في رأيي « كوميديا » رغم أنها تنتهي
بفاجعة ، فهي إذن لون من الكوميديا الداكنة أو السوداء .

والشعر في الكوميديا يختلف عنه في التراجيديا والدراما .
حتى عند شكسبير ، اكثر شعراء المسرح شاعرية .



السؤال الثاني ،

ما شأن اللغة هنا ؟

فالقارىء قد يشهد هنا ألفاظاً لم يعندها في الشعر ، وقد وقفت أنا كثيراً تجاه بعضها يتجاذبني عاملان ، عامل الابقاء عليها لأنها هي الألفاظ التي تحمل الدلالة التي أريدها ، وعامل اسقاطها أو تغييرها لأن فيها شبهة ركازة أو عامية . ففي المقطع الشاسني من حديث الراوي نجد عبارة « فالأمر بسيط .. » وأنا لا أحب أن أستعمل كلمة « بسيط » بهذا المعنى ، بل أؤثر معناها القديم كإحدى صيغ « مبسوط » بمعنى مهد مستور ، ولكن الكلمة قد انتقلت من هذا المعنى

إلى معناها الجديد ، كما انتقلت كلمة سهل من معناها كأرض متبسطة ، إلى معنى اليسر والوضوح والاستواء في شرع الفكر لا في رؤية العين .

وحين يمضي القارئ في المسرحية سيجد ألفاظاً وصيغاً أخرى لم تجر العادة على استعمالها في الشعر ، مثل « عواميد السكة - حديد الأرضية - وجه في إعلان - البرميل الأسير - يتركني في حالي - قال في نفسه » إلى غير ذلك مما هو قريب منه .

أبقيت على هذه الألفاظ لأنني أؤمن أن لكل عمل فني بلاغته ، ولأنني وجدت أسلافنا من كتاب المسرح حين يكتبون الكوميديا يترخصون في الجلال لصالح التعبير ، ولأنني كما قلت كنت حريصاً على شاعرية « الحالة » لا شاعرية الأداء . وقد رأيت أن عدّ أعمدة السكة ، ولعب الرجل في

ذاكرته ، وسقوط أيامه من عينيه لكي يستعرضها أمامه ،
ومداعبته للمسبحة بأصابعه ثم يحشه عن حباتها ، كل ذلك
مرادفات عصرية لحالة الملل والخيرة التي يقاسيها الرجل ،
وأظنها أوضح تعبيراً من السكيشيه المأثور « يضرب أخماساً في
أسداس » ، وأظني لو قلت كما قال ذو الرمة - أو كما
قال :

عشية مالي حيلة غير أنني
بلقط الحصى والخط في التراب مولع
لما بلغت من تجسيد حالة الراكب شيئاً .

من الراوي ؟

أنا في منطق الفن ، فالراوي هو البديل للجوقة التي عرفها المسرح الاغريقي ، وأنا أعد الجوقة فتحاً مسرحياً ، ينبغي ألا يغلق بابه ، وجزءاً من العمل المسرحي ينبغي أن نحرص عليه من التآكل والسقوط ، وقد أوشكت الجوقة أن تنقرض من المسرح بتأثير هذه النزعة إلى عد المسرحية عملاً روائياً يستبدل السرد بالحوار ، ومن لا دور له من الشخصيات المحددة لا حق له في الكلام . لقد أوشك المسرح الطبيعي أن يقضي على الجوقة . ولكن المسرحية ليست عملاً روائياً موزعاً على شخصيات ، بل إن المسرحية

الجيدة قد لا تحوي حكاية جيدة ، بل قد لا تحوي حكاية ما .
وليس القصد فيها هو الحكاية ومفاجأتها ، وإلا احتضر
المسرح الاغريقي عند ولادته إذ أن كل حكاياته كانت
معروفة سلفاً عند متلقيها . لقد فرق بيتس في مقدمة إحدى
مسرحياته بين فنون الخيال ، وفنون الواقع ، أما فنون
الخيال كالشعر والعبادات الشعائرية والموسيقى والرقص فهي
لا ترتبط بالحدث ارتباطاً مباشراً ، بل هي تحوله إلى مشاهد
ملهبة للخيال ، إذ تنفصل عن عالم الواقع لتغوص إلى غور من
أغوار العقل كانت من قبل مجسداً بالغموض الذي يخيف
القاصدين . أما فنون الواقع فهي مجموعة من الصور الفوتوغرافية
الدقيقة في إطلاتها المذهبة أو العارية .

المسرحية المكتوبة هي الكلمة سيدة وحاكمة ، وعلى
الحشبة أن تخضع لها ، وإذا كانت الكلمة واجبة وموحية ،
فمن حقها أن تقال في المسرحية حق ولو علقت كشعار فوق

الحشبة ، أو طاف بها المنادون في أروقة المسرح وبين صفوفه .

ولكن مالي وهذا القول ، وأنا أعتقد أن الراوي شخصية رئيسية من شخصيات مسرحيتي ، فهو بديل للجوقة كما قلت ، أذ أنه يوضح ويعلق ويشير . هذا هو أهون أدواره ، أما دوره الرئيسي فهو يمثل لكل من هم خارج المسرح ، لذلك فهو يقف على حافته . إن على المسرح جلاداً وضحية ، ولكن هناك آخرين ليسوا جلادين وليسوا في الوقت ذاته ضحايا (لوقت ما .. ربما) فما هو موقف هؤلاء ؟ إنهم يضعكون ويمرحون بالكلمات ، وينثرون ذكاهم الرخيص ، ولا يستنكفون أن يساعدوا الجلاد على حمل جثة الضحية . إنهم ظرفاء العصر وأوباشه .



منذ خمس سنوات التقيت بالمسرحي العظيم « يوجين
اونسكو » في مسرحية الكراسي ، حيث كان يعرضها مسرح
الجيب القاهري ، وما كاد العرض ينتهي حتى كنت قد
انتويت أن أدخل عالم هذا الكاتب العظيم ، وسميت إليه من
خلال معظم أعماله . وكتبت في مذكراتي الشخصية عندئذ
أن اكتشاف عظمة أونسكو كان من أحلى الاكتشافات التي
عرفتها في حياتي . وأضفته إلى ذخائري كما أضفت شكسبير
وأبا العلاء المعري وتشيكوف من قبل ، ولست أعني
بالاكتشاف أنني كشفت سرّاً ، ولكنني أعني أنني
فهمت هؤلاء السادة العظام فهمي الخاص ، واستطعت أن
أقترب منهم بحيث بدا لي منهم جانباً عرفته بنفسي وآثرته

دون أن أستهدي بحديث النقاد والمفسرين . لقد حدثوني حديثاً مباشراً وودوداً من خلال إبداعهم العظيم .

ومرت السنوات ، وكتبت مسرحيتي مأساة الحلاج ، وكان فيها عودة - كما تصورت - إلى ينبوع غرامي المسرحي الأول ؛ الاغريق ، أين كان أونيسكو عندئذ .. لا أدري . فقد خلت مأساة الحلاج من كل شبهة معاصرة في البناء المسرحي ، أو خروج عن مألوف الدراما الكلاسيكية ، ولكني حين كتبت هذه المسرحية ، وبدأت أنظر فيها بالعين الناقدة ، وجدت فيها ما تمثلته وأحببته عند غرامي الأخير ، يوجين أونيسكو .

لقد ظلمت كلمة اللامعقول حين ألقاها بعض نقاد المسرح الحديث كثيراً . إنه ليس مسرحاً لامعقولاً ، بمعنى أنه مجاف للعقل ، ولكن بمعنى أنه مجاف للقوالب العقلية المسماة بالمنطق . ومن هنا فهو يخضع للعقل العام ، وحتى كلمة « العبث »

تبدو كلمة مخيبة للثقة ، من يستطيع أن يبحث في هذا العصر
الذي نعيش فيه ، حتى ولو كان ذا نفس عابثة . لنميزه إذن
باختلافه عن سبيل منطق العقل إلى سبيل روح العقل .

صلاح عبد الصبور